خلافة عثمان ﷺ، عند بزوغ قرن الفتنة، وقد استنكر الصحابة هذا القول، عندما وصل إلى أسماعهم، وبينوا كذبه، ومن أشهر هؤلاء علي بن أبي طالب، وأم المؤمنين عائشة ﷺ، ثم نرى هذا القول يتبلور في فكرة موجهة، وعقيدة تدعو إلى الإيمان بها والدعوة إليها، وذلك في خلافة علي ﷺ، وهذه الوصية التي تدعيها الشيعة فقد أثبت علماؤهم أنها من وضع عبد الله بن سبأ، كما ذكر ذلك النوبختي و الكشي، وقد فصلت ذلك في كتابي (أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن طالب ﷺ)[1].

تاسعاً: الشورى في دولة عمر بن عبد العزيز:

وقد اهتم عمر بن عبد العزيز بتفعيل مبدأ الشورى في خلافته، ومن أقواله في الشورى: إن المشورة و المناظرة باب رحمة ومفتاح بركة لا يضل معهما رأي، ولا يفقد معهما حزم[2]، وكان أول قرار اتخذه عمر بعدما ولي أمر المدينة للوليد بن عبد الملك، يتعلق بتطبيق مبدأ الشورى وجعله أساساً في إمارته، حين دعا من فقهاء المدينة وكبار علمائها، وجعل منهم مجلساً استشارياً[3] دائماً.

فعندما جاء الناس للسلام على الأمير الجديد بالمدينة وصلى، دعا عشرة من فقهاء المدينة وهم: عروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبو بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث ابن هشام، و أبو بكر بن سليمان بن أبي خيثمة، وسليمان بن يسار، والقاسم بن

(1) خامس الخلفاء الراشدين، الحسن بن علي بن أبي طالب، ص: 174.
(2) أدب الدنيا والدين، للماوردي، ص: 189.
(3) النموذج الإعدادي المستخلص من إدارة عمر بن عبد العزيز، ص: 283.

محمد، وسالم ابن عبد الله بن عمر، وأخوه عبد الله بن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وخارجة بن زيد بن ثابت، فدخلوا عليه فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه، وتكونون فيه أعواناً على الحق، إني لا أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحداً يتعدى، أو بلغكم عن عامل لي ظلامة، فأحرج الله على من بلغه ذلك إلا أبلغني[1]، فقد أحدث عمر بن عبد العزيز مجلساً، حدّد صلاحياته بأمرين:

1. أنهم أصحاب الحق في تقرير الرأي، وأنه لا يقطع أمراً إلا برأيهم، وبذلك يكون الأمير قد تخلى عن اختصاصاته إلى هذا المجلس، الذي نسميه مجلس العشرة.

2 ـ أنه جعلهم مفتشين على العمل، ورقباء على تصرفاتهم فإذا ما اتصل بعلمهم أو بعلم أحدهم أن عاملاً ارتكب ظلامة، فعليهم أن يبلغوه وإلا فقد استعدى الله على كاتم الحق.

ونلاحظ كذلك على هذا التدبير أنه قد تضمن أمرين:

1 ـ أن الأمير عمر بن عبد العزيز لم يخصص تعويضاً لمجلس العشرة لأنهم كانوا من أصحاب العطاء، وبما أنهم فقهاء، فما ندبهم إليه داخل في صلب اختصاصهم.

2 ـ أن عمر افترض ـ غياب أحدهم عن الحضور لعذر من الأعذار ولهذا لم يشترط في تدبيره حضورهم كلهم، وإنما قال: أو

(1) موسوعة فقه عمر بن عبد العزيز، قلعجي، ص: 548.

برأي من حضر منكم[1].

إن هذا المجلس كان يستشار في جميع الأمور دون استثناء[2].

ونستنتج من هذه القصة أهمية العلماء الربانيين وعلو مكانتهم، وأنه يجب على صاحب القرار أن يدنيهم ويقربهم منه ويشاورهم في أمور الرعية، كما أنه على العلماء أن يلتفوا حول الصالح من أصحاب القرار، من أجل تحقيق أكبر قدر ممكن للمصالح، وتقليل ما يمكن من المفاسد، كما أن عمر بن عبد العزيز لم يختصر في شواره على هؤلاء فحسب، بل كان يستشير غيرهم من علماء المدينة، كسعيد بن المسيب، والزهري وغيرهم، وكان لا يقضي في قضاء حتى يسأل سعيد، وفي المدينة أظهر عمر بن عبد العزيز إجلاله للعلماء وإكباره لهم.

وقد حدث أن أرسل رحمه الله تعالى رسولاً إلى سعيد بن المسيّب فأخذ سعيد نعليه وقام إليه في وقته، فلما رآه عمر قال له: عزمت عليك يا أبا محمد إلا رجعت إلى مجلسك حتى سألك رسولنا عن حاجتنا، فإنا لم نرسله ليدعوك، ولكنه أخطأ إنما أرسلناه ليسألك[3].

وفي إمارته على المدينة المنورة وسع مسجد رسول ﷺ بأمر الوليد بن عبد الملك، حتى جعله مائتي ذراعاً في مائتي ذراع، زخرفه

(1) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (1/ 562).
(2) نظام الحكم في الإسلام بين النظرية والتطبيق، ص: 391.
(3) سيرة عمر بن عبد العزيز ومناقبه، ص: 23، لابن عبدالحكم.

بأمر الوليد بن عبد الملك مع أنه رَحِمَهُ اللَّهُ كان يكره زخرفة المساجد، ويتضح من موقف عمر بن العزيز هنا أنه قد يضطر الوالي للتجاوب مع قرارات ممن هو أعلى منه، حتى وإن كان غير مقتنع بها إذا قدر أن المصلحة في ذلك من وجوه أخرى، وفي إمارته على المدينة في سنه 91هـ حج الخليفة الوليد بن عبد الملك، فاستقبله عمر بن عبد العزيز أحسن استقبال، وشاهد الوليد بأم عينيه الإصلاحات العظيمة التي حققها عمر بن عبد العزيز في المدينة المنورة[1].

*** في خلافته:**

كان خطابه عندما تولى الخلافة كالآتي: أيها الناس، إني قد ابتليت بهذا الأمر، من غير رأي كان مني فيه ولا طلبة له ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي «فاختاروا لأنفسكم» فصاح الناس صيحة واحدة، قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فول أمرنا باليمن والبركة[2].

وبذلك خرج عمر من مبدأ توريث الولاية الذي تبناه معظم خلفاء بني أمية إلى مبدأ الشورى والانتخاب، ولم يكتف عمر باختياره ومبايعة الحاضرين، بل يهمه رأي المسلمين في الأمصار الأخرى ومشورتهم، فقال في خطبته الأولى ـ عقب توليه الخلافة ـ: .. وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن أطاعوا كما أطعتم، وإن هم أبوا فلست لكم بوالٍ، ثم نزل[3].

(1) موسوعة عمر بن عبد العزيز، ص: 20.
(2) سيرة مناقب عمر بن عبد العزيز، ص: 65.
(3) البداية والنهاية (12/ 657).

وقد كتب إلي الأمصار الإسلامية فبايعت كلها، وممن كتب لهم يزيد بن المهلب يطلب إليه البيعة بعد أن أوضح له إنه في الخلافة ليس براغب، فدعا يزيد الناس إلى البيعة فبايعوا[1]، وبذلك يتضح أنه لم يكتف بمشورة من حوله، بل امتد الأمر إلى جميع أمصار المسلمين، ونستنتج من موقف عمر هذا ما يلي :

1 ـ أن عمر كشف النقاب عن عدم موافقة الأصول الشرعية في تولي معظم الخلفاء الأمويين.

2 ـ حرص عمر على تطبيق الشورى في أمر يخصه هو، ألا وهو توليه الخلافة.

3 . أن من طبق مبدأ الشورى في أمر مثل تولي الخلافة حريّ بتطبيقه فيما سواه.

وكان عمر يستشير العلماء، ويطلب نصحهم في كثير من الأمور أمثال سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة وغيرهم، فقال: إني قد ابتليت بهذا الأمر فأشيروا[2] عليّ. كما كان يستشير ذوي العقول الراجحة من الرجال[3]. وقد حرص عمر على إصلاح بطانته لما تولى الخلافة، فقرب إلى مجلسه العلماء وأهل الصلاح، وأقصى عنه أهل المصالح الدنيوية والمنافع الخاصة، ولم يكتف رَحِمَهُ اللَّهُ بانتفاء بطانته، بل كان زيادة على ذلك يوصيهم ويحثهم على تقويمه ، فقال لعمر بن مهاجر: اذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي ثم هزني ثم قل : يا عمر ما تصنع[4]؟، وقد

(1) النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر، ص: 285.
(2) سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، ص: 16.
(3) الدولة الأموية، للصّلابي (2/125).
(4) أثر العلماء في الحياة السياسية، ص: 175 إلى 177، للخرعان.

كان لهذا المسلك أثر في تصحيح سياسته التجديدية ونجاحها ، حيث كان لبطانته أثر في شد أزره ، وسداد رأيه وصواب قراره[1]، فمن أسباب نجاح عمر بن عبد العزيز تقريبه لأهل العلم والصلاح وانشراح صدره لهم ومشاركتهم معه لتحمل المسؤولية فنتج عن ذلك حصول الخير العميم للإسلام والمسلمين[2].

عاشراً: الشورى في عهد نور الدين زنكي:

تولى حركة المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين في عهد الحروب الصليبية بعد عماد الدين عام 541هـ، ابنه نور الدين محمود زنكي وقد تميزت شخصيته بمجموعة من الصفات الرفيعة والأخلاق الحميدة التي ساعدته ـ بعد توفيق الله ـ على تحقيق إنجازاته العظيمة والتي من أهمها : الجدية والذكاء المتوقد ، والشعور بالمسؤولية ، وقدرته على مواجهة المشاكل والأحداث، ونزعته للبناء والإعمار، وقوة الشخصية ومحبة المسلمين له، واللياقة البدنية العالية، وتجرده وزهده الكبير، وشجاعته الفائقة، ومفهومه للتوحيد وتضرعه ودعاؤه، ومحبته للجهاد والشهادة، وعبادته وإنفاقه وكرمه واتخذ نور الدين محمود زنكي من سيرة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ نموذجاً يقتدى به في دولته، فقد كتب الشيخ العلامة أبو حفص معين الدين عمر بن محمود الإربلي سيرة عمر بن عبد العزيز لكي يستفيد نور الدين منها في إدارة دولته، ولقد آتت معالم الإصلاح والتجديد الراشدي في عهد عمر بن عبد العزيز ثمارها في الدولة الزنكية، فقد اقتنع نور

(1) أثر العلماء في الحياة السياسية، ص: 178.
(2) الدولة الأموية (2/ 126)، للصلابي.